وكذلك ينظر فى حال من افتقر أو ركبته الديون واقطاعه قليل لا يقوم بحاله و ينظر أيضا فى حال الجند البطالين الذين طلبوا منه استخدامهم فلم يستخدمهم أو أعطاهم اقطاعا لا يرضيهم فانهم يتربصون به الدوائر و ينظرون له ريبة يتبعونها فيحترز منهم اذا كثروا إما بالارضاء أو بالابعاد (وصنف آخر) من الجند تركوا الجندية اختيارا وملالا فان اشتغلوا بزهد أو بتجارة أو صناعة تركوا وشأنهم فان حصل منهم من الشر ورما لا يمكن تداركه فيجب أن يشغلوا و يعدوا (وصنف آخر) من الجند ذو و بأس شديد وشجاعة أفرط اعتقادهم فى حق أنفسهم حتى ظنوا أن انتظام الدولة بهم واستقامة الملك بسببهم وانه لا يستحق العطاء والحباء غيرهم ومتى أعطى غيرهم أو أكرم حنقوا وان توقعوا أو طلبوا شيأ لم ينالوه تحزبوا وظلموا فينبغى للملك العارف أن يفكر فى حالة من أحوال الفروسية يعلم أنهم مقصرون فى بلوغ غايتها فيندبهم لها ليتبين لهم التقصير و يعرفهم بها فيعرفوا مقدار نفوسهم (آثار الاول فى تاريخ الدول)

الباب الخامس فى المقامات

(المقامة الفرضية)

(أخبرا الحرث بن همام) قال أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامية الرباب ولا أرق صب طرد عن الباب ومنى بصد الاحباب فلم تزل الافكار يهجن همى و يجلن فى الوساوس وهمى حتى تمنيت لمضض ما عانيت أن أرزق سميرا من الفضلاء ليقصر طول ليلتى الليلاء فما انقضت منيتى ولا أغمضت مقلتى حتى قرع الباب قارع له صوت خاشع فقلت فى نفسى لعل غرس التمنى قد أثمر وليل الحظ قد أقمر فنهضت اليه عجلان وقلت من الطارق الآن فقال غريب أجنه الليل وغشيه السيل و يبتغى الايواء لاغير واذا أسحر قدم السير قال فلما دل شعاعه على شمسه ونم عنوانه

(أرقت) أى سهرت (حالكة) أى سوداء (الجلباب) هو ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء والمعنى انها شديدة الظلام (هامية الرباب) أى سائلة السحاب واحدة ربابة بالفتح وهى سحابة بيضاء رقيقة وقد تكون سوداء (صب) أى عاشق (ومنى) أى ابتلى (يهجن) من هاج اذا ثار وهجته أنا أثرته هيجا (و يجلن) من أجاله اذا أداره وحركه هكذا وهكذا (الوساوس) جمع الوسوسة وهى حديث النفس أو الكلام الخفى (وهمى) أى بالى وفكرى (لمضض ما عانيت) أى لحرقة و وجع ما قاسيت (سميرا) أى محادثا بالليل (الليلاء) أى شديدة الظلمة كقولك شعر شاعر فى التأكيد (منيتى) أى ما تمنيته وطلبته (أغمضت) أى أطبقت الاجفان (قرع) أى طرق وضرب (لعل غرس الخ) كناية عن كونه ترجى حصول مطلوبه وسؤله بهذا الطارق فيثمر ما غرسه من التمنى و يقضى ما أظلم ليلته من عدم التهنى (فنهضت الخ) أى فقمت اليه مسرعا (الطارق) هو الذى يأتى ليلا (أجنه) أى ستره (وغشيه) أى أتاه وأدركه (الايواء) أى ادخاله المنزل لانه مصدر آوى المتعدى (أسحر) أى دخل فى وقت السحر (قدم السير) أى لم يطلب غير المبيت الى السحر ثم ينصرف (شعاعه على شمسه) يريد أن ما بدا منه من حسن المخاطبة يدل على علو شأنه و بديع بيانه (ونم عنوانه الخ) العنوان ما يكتب على ظهر الكتاب ونم بمعنى أخبر وهو فى معنى ما قبله

بسرّ طرسه علمت أن مسامرته غنم ومساهرته نعم ففتحت الباب بابتسام وقلت ادخلوها بسلام فدخل شخص قدحني الدهر صعدته وبلل القطر بردته فحيا بلسان عضب وبيان عذب ثم شكر على تلبية صوته واعتذر من الطروق في غير وقته فدانيته بالمصباح المتقد وتأملته تأمل المنتقد فألفيته شيخنا أبا زيد بلا ريب ولا رجم غيب فاحلاته محل من أظفرني بقصوى الطلب ونقلني من وقذ الكرب الى روح الطرب ثم أخذت أكوله الاين وأخذت في كيف وأين فقال أبلغني ريق فقد أتعبني طريق فظننته مستبطنا السغب متكاسلا لهذا السبب فاحضرته ما يحضر للضيف المفاجي في الليل الداجي فانقبض انقباض المحتشم وأعرض اعراض البشم فسؤت ظنا بامتناعه وأحفظني حؤل طباعه حتى كدت أغلط له في الكلام وألسعه بحمة الملام فتبين من لمحات ناظري ما خامر خاطري فقال يا ضعيف الثقة باهل الحقة عدعما أخطرته بالك واستمع الى لا أبالك فقلت هات يا أخا الترهات فقال اعلم اني بت البارحة حليف افلاس ونجو وسواس قد قضى الليل نحبه وغور الصبح شهبه غدوت وقت الاشراق الى بعض الارواق متصديا لصيد يسنح

(مسامرته غنم الخ) أي محادثته غنيمة والسهر معه نعيم (فدحني الدهر صعدته) أي أمال اعتداله وقوته وأصل الصعدة القناة تنبت مستوية لا تحتاج الى التثقيف والتعديل كنى بها عن قامته (وبلل القطر بردته) أي أصابه المطر حتى ابتل ثوبه (فحيا) أي سلم (بعضب) أي ماضي البلاغة (بيان) أي فصاحة (عذب) حلو (تلبية صوته) أي اجابته بقول لبيك (الطروق) الاتيان (فدانيته) أي قاربته (المتقد) أي الموقد (المنتقد) هو من يميز بين الزيف والجيد من الدراهم وفي نسخة المنتقد من تفقد تطلبه (فألفيته) أي فوجدته (رجم غيب) هو الكلام بالظن (فأحللته) أي فأنزلته (أظفرني) أي ملكني من الظفر وهو الفوز بالشيء (بقصوى الطلب) أي بغاية المطلوب والقصوى تأنيث الاقصى وجاء على الاصل والقياس القصيا كالدنيا (وقذ الكرب) الوقذ شدة الضرب والكرب جمع كربة وهي حرقة الهموم (روح الطرب) أي راحة السرور (الاين) أي الاعياء والتعب (كيف وأين) سؤال عن الحال والمكان (أبلغني ريق) أي أمهلني حتى ابلع ريقي فان جادتك قلت لبعض شيوخي أبلعني ريقي فقال أبلعك الرافدين وهما دجلة والفرات (مستبطنا السغب) أي جائع البطن والسغب الجوع وفي نسخة مستبطنا حيا السغب (المفاجي) الآتي بغتة (الداجي) الساتر بظلامه ومنه قوله دجا الاسلام أي عم وكثر أهله (المحتشم) المستحي المنقبض (وأعرض) أي نحى وجهه لجهة أخرى (البشم) المتملئ بالطعام (فسؤت ظنا) أي ساء ظني (وأحفظني) أي غاظني وأغضبني (حؤل طباعه) أي تغير خلائقه (كدت أغلط) أي قاربت أن أعنفه بالكلام (وألسعه الخ) أي وأوجعه باللوم، تشبيه بسم العقرب عند لسعه (فتبين الخ) أي علم وفهم من نظرة عيني (ما خامر الخ) أي ما خالط ذهني وفكري (الثقة) الاعتماد (الحقة) المحبة (عد) أي تجاوز وأعرض عنه (اخطرته بالك) أي أمررته وأدخلته في قلبك (لا أبالك) كلمة دعاء عليه أي لا أب حزلك (الترهات) الاباطيل وأصلها الطرق الصغار تشعب من الجادة واحد تهاترهة (حليف افلاس) أي قرين فقر وصاحب عدم (ونجو وسواس) أي مناجي وسوسة وهي الحركة في همس للتردد في أمر (قضى الليل نحبه) اي مضى وانقضى يقال قضى نحبه اذا انقضى أجله (وغور) اي غيب وأخفى (شهبه) نجومه (غدوت) أي ذهبت في الغدوة (الاشراق) أي شروق الشمس (متصديا) أي قاصدا ومتعرضا (يسنح) أي يعرض والسانح الصيد الذي يأتي من

أوحرّ يسمح فلحظت بها تمرا قد حسن تصفيفه وأحسن اليه مصيفه فجمع على التحقيق صفاء الرحيق وقنوء العقيق وقبالته لبأ قد برز كالابريز الاصفر وانجلى فى اللون المزعفر فهو يثنى على طاهيه بلسان تناهيه ويصوب رأى مشتريه ولونقد حبة القلب فيه فأسرتنى الشهوة بأشطانها وأسلمتنى العيمة الى سلطانها فبقيت أحير من ضب وأذهل من صب لا وجد يوصلنى الى نيل المراد ولذة الازدراد ولا قدم يطاوعنى على الذهاب مع حرقة الالتهاب لكن حدانى القرم وسورته والسغب وفورته على أن أتجبع كل أرض واقتنع من الورد ببرض فلم أزل سحابة ذلك النهار أدلى دلوى الى الانهار وهى لا ترجع بيله ولا تجلب نقع غله الى أن صعقت الشمس للغروب وضعفت النفس من اللغوب فرحت بكبد حرى وانثنيت أقدم رجلا وأوخر أخرى وبينما أنا أسعى وأقعد وأهب وأركد اذ قابلنى شيخ يتأوه أهة الثكلان وعيناه تهملان فاشغلنى ما أنا فيه من داء الذيب والخوى المذيب عن تعاطى مداخلته والطمع فى مخاتلته فقلت له ياهذا ان لبكائك سرا ووراء تحرقك لشرا فأطلعنى على برحائك واتخذنى من نصحائك فانك ستجدمنى طبا آسيا أوعونا مواسيا فقال والله ما تأوهى من عيش فات ولا من دهر افتات بل لانقراض العلم ودروسه

جانب اليسار والبارح الذى يأتى من جانب اليمين والعرب تستحسن السانح دون البارح عند التفاؤل (فلحظت) أى فنظرت (تصفيفه) أى كونه صفوفا (مصيفه) أى زمن الصيف (الرحيق) هو الشراب الصافى (وقنوء) أى شدة حمرة (لبأ) هو أول اللبن فى النتاج (كالابريز) أى كالذهب الخالص (يثنى) أى يمدح ويشكر (طاهيه) أى طابخه ومصلحه (تناهيه) أى انتهائه فى حسنه (ويصوب الخ) أى يقول لمشتريه أصبت فى رأيك فى شرائى (نقد) أى دفع (فأسرتنى) أى ربطتنى وقادتنى (بأشطانها) بحبالها جمع شطن وهو الحبل (العيمة) هى فى الاصل شهوة اللبن (سلطانها) أى تسلطها (أحير من ضب) الضب دويبة تشبه الورل اذا خرج من جحره لا يكاد يهتدى اليه ولذلك يضرب به المثل فى من لا يهتدى الى مقصده (وأذهل من صب) أى أشغل من عاشق يقال أذهلنى شغلنى وذهلت عنه غفلت ونسيت (لا وجد) أى لا مال ولا غنى (الازدراد) الابتلاع (حدانى) أى ساقنى (القرم) أصله شهوة اللحم فاستعير لشهوة اللبن (سورته) أى حدته (والسغب) الجوع (فورته) حرقته (أتجبع) أى أقصد (واقتنع) وفى نسخة أقنع (الورد) المورد (ببرض) البرض الماء القليل (سحابة الخ) يريد جميعه كقولهم بياض النهار وسواد الليل (أدلى) أى أرسل وأرخ (وهى لا ترجع بيلة) وفى نسخة وهو لا يرجع بيلة وهو كناية من الخيبة وعدم الظفر بشئ أصلا (ولا تجلب الخ) أى لا تأتى بما يروى العطش نقع غله سكن حرارة عطشه (صعقت) أى مالت ومنه فقد صعقت قلوبكما (اللغوب) الاعياء (فرحت) أى فرجعت (حرى) أى عطشى (انثنيت) أى رجعت (أقدم الخ) مثل يضرب فى التردد فى الاقدام على الشئ والاحجام عنه (أهب) أصله استيقظ (أركد) أى أسكن (يتأوه) أى يتوجع (أهة الخ) بتشديد الهاء وبتخفيفها مع المد أى كتوجع الثاكل وهو فاقد الولد قال العبدى

* اذا ما قمت ارحلها بليل * تأوه آهة الرجل الحزين *

(تهملان) أى تسيلان بالدمع (داء الذيب) كناية من الجوع (الخوى) خلو الجوف من الطعام (تعاطى) أى تناول (مداخلته) أى مداناته (مخاتلته) أى مخادعته (برحائك) البرح والبرحاء شدة الاذى (طبا آسيا) أى طبيبا مداويا (مواسيا) أى مطيعا موافيا (تأوهى) توجعى (فات) انقضى (افتات) أى تعدى (لانقراض) أى لانعدام (ودروسه) أى فنائه وذهابه أو جمع درس ففيه توربة

وأفول أقماره وشموسه فقلت وأى حادثة نجمت وقضية استعجمت حتى هاجت لك الاسف على فقد من سلف فابرز رقعه من كمه وأقسم بابيه وأمه لقد أنزلها باعلام المدارس فما امتازوا عن الاعلام الدوارس واستنطق لها أحبار المحابر فخرسوا ولاخرس سكان المقابر فقلت أرنيها فلعلى أغنى فيها فقال ما أبعدت فى المرام فربرمية من غير رام ثم ناولنيها فاذا المكتوب فيها

أيها العالم الفقيه الذى فا * ق ذكاء فماله من شبيه
أفتنا فى قضية حاد عنها * كل قاض وحار كل فقيه
رجل مات عن أخ مسلم حر تقى من أمه وأبيه
وله زوجة لها أيها الحبر أخ خالص بلا تمويه
فحوت فرضها وحاز أخوها * ما بقى بالارث دون أخيه
فاشفنا بالجواب عما سألنا * فهو نص لا خلف يوجد فيه

فلما قرأت شعرها ولمحت سرها قلت له على الخبير بها سقطت وعند ابن بجدتها حططت الا أنى مضطر م الاحشاء مضطر الى العشاء فاكرم مثواى ثم استمع فتواى فقال لقد أنصفت فى الاشتراط وتجافيت عن الاشتطاط فصر معى الى مربعى لتظفر بما تبتغى وتنقلب كما ينبغى

(وأفول) أى غروب (أقماره وشموسه) المراد بها العلماء والفقهاء وأفولهم موتهم (نجمت) أى ظهرت (استعجمت) أى استبهمت وأشكلت قال صم صداها وعفا رسمها * استعجمت عن منطق السائل (هاجت) أى هيجت وأثارت (الاسف) أى الحزن (سلف) أى مضى وسبق (فابرز) فاخرج (رقعة) أى قطعة من ورق (بأعلام) جمع علم بمعنى السيد العظيم وهم العلماء المدرسون (المدارس) جمع مدرسة وهى محل تدريس العلوم (امتازوا) أى تميزوا (عن الاعلام) جمع علم بالتحريك وهى العلامة توضع فى الطريق للسابلة أى أبناء السبيل (الدوارس) جمع دارسة بمعنى فانية (أحبار) جمع حبر بالفتح والكسر والكسر أفصح وهو العالم (المحابر) جمع محبرة بالفتح موضع الحبر وعاؤه (فخرسوا الخ) أى سكتوا ولا سكوت الاموات (أرنيها) أى اطلعنى عليها (أغنى) أى أنفع (فربرمية) هذا مثل قاله الحكم بن عبد يغوث وكان من أرمى أهل زمانه عند ما أخذ ولده القوس ورمى فأصاب فقال الحكم ربرمية من غير رام أى من غير حاذق بالرمى فذهبت مثلا (ذكاء) هو حدة القلب (حاد عنها) أى مال عنها وجانبها (حار) تحير (الحبر) العالم (بلا تمويه) أى بلا شك ولا ريب (فاشفنا بالجواب) وفى نسخة فى الجواب (ولمحت سرها) نظرته واطلعت عليه (ابن بجدتها) أى العارف بها يقال بجد بالمكان اذا أقام فيه ومن ذلك قيل للخبير بالارض هو ابن بجدتها ثم كثر حتى قيل لكل خبير بشئ ويقال للعالم بالشئ المتقن له هو ابن بجدتها وذكر صاحب شمس العلوم أنه يقال للدليل الحاذق أيضا وابن بجدة العلم (مضطر م الاحشاء) ملتهبها ومتقدها والاحشاء ما اشتملت عليه الضلوع (مضطر الى العشاء) أى محتاج اليه (فاكرم مثواى) أمر من الاكرام أى أحسن مقامى ونزلى (فتواى) أى جوابى (أنصفت) عدلت (تجافيت) تباعدت (الاشتطاط) أى الجور ومجاوزة الحد (فصر) أى كن وتحول (مربعى) محل اقامتى (لتظفر) لتفوز وتنال (تبتغى) تطلب (وتنقلب) ترجع

قال فصاحبته الى ذراه كما حكم الله فادخلني بيتا أحرج من التابوت وأوهن من بيت العنكبوت الا أنه جبر ضيق ربعه بتوسعة ذرعه فحكمني في القرى ومطايب ما يشترى فقلت أريد أزهى راكب على أشهى مركوب وأنفع صاحب مع أضر مصحوب فافكر ساعة طويلة ثم قال اعلك تعني بنت نخيلة مع لبأ سخيلة فقلت اياهما عنيت ولاجلهما تعنيت فنهض نشيطا ثم ربض مستشيطا وقال اعلم أصلحك الله أن الصدق ناهية والكذب عاهة فلا يحملنك الجوع الذي هو شعار الانبياء وحلية الاولياء على أن تلحق بمن مان وتتخلق بالخلق الذي يجانب الايمان فقد تجوع الحرة ولا تأكل بثديها وتأبى الدنية ولو اضطرت اليها ثم انى لست لك بزبون ولا أغضي على صفقة مغبون وها أنا قد أنذرتك قبل أن ينهتك الستر وينعقد فيما بيننا الوتر فلا تلغ تدبر الانذار وحذار من المكاذبة حذار فقلت له والذي حرم أكل الربا وأحل أكل اللبا ما فهت بزور ولا دليتك بغرور وستخبر حقيقة الامر وتحمد بذل اللبأ والتمر فهش هشاشة المصدوق وانطلق مغذا الى السوق فما كان بأسرع من أن أقبل بهما يدلح ووجهه من التعب

(فصاحبته) سعيت ومشيت معه (الى ذراه) بيته (كما حكم الله) أي كما قال تعالى ولكن اذا دعيتم فادخلوا (أحرج) أضيق (وأوهن) أضعف والعنكبوت حشرة معروفة تنسج بيتها بالخرابات (جبر) أصلح (ربعه) منزله (ذرعه) صدره وخلقه (القرى) الضيافة (مطايب) هكذا وجد بخط الحريري وروى عنه والصواب أطايب جمع أطيب فمن اس السكيت أطعمنا فلان من أطايب الجزور ولا تقل من مطايب الجزور ولكن قال ثعلب يقال أطعمنا من مطايب التمر وأطايب الجزور (أزهى) أحسن منظرا وأكثر حمرة ومنه زها البسر اذا احمر (راكب) يريد اللبأ (مركوب) يريد التمر (وأنفع صاحب) هو التمر لانه عظيم المنفعة في السفر والحضر (أضر مصحوب) هو اللبأ لانه ردىء العاقبة وهذا باعتبار انفرادهما فاذا اجتمعا في المعدة أصلح التمر بحلاوته اللبأ فيصير أسرع هضما وانحدارا (بنت نخيله) يعني التمر ونخيلة تصغير نخلة (سخيلة) تصغير السخلة من أولاد الغنم (عنيت) قصدت (تعنيت) تعبت (فنهض نشيطا) أي قام مسرعا مجدا (ربض) قعد يقال ربض الاسد اذا قعد على جاعرتيه أي أليتيه (مستشيطا) محترقا من الغيظ (نباهة) شرف ورفعة (عاهة) مرض مشوه (يحملنك) يلجئك ويدعوك (شعار) أصله الثوب الذي يلي الجسد والمراد العلامة (وحلية الخ) أي زينة ولباس الاولياء (مان) كذب (الذي يجانب الايمان) أي ينافيه وهو الكذب لقوله عليه الصلاة والسلام الكذب يجانب الايمان (بثديها) أي لا ترضع بأجرة وهو مثل يضرب للمروءة مع الحاجة (تأبى الدنية) أي تمتنع من الخصلة القبيحة كالزنا (بزبون) الزبون كلمة مولدة معناها الغبي والحريف والمراد لست من ذوي معاملتك (ولا أغضي) لا أتغافل (صفقة) بيعة (مغبون) هو من باع بدون القيمة (أنذرتك) أعلمتك (أن ينهتك الستر) أي قبل الفضيحة (الوتر) بفتح الواو وكسرها الحقد والبغضاء (فلا تلغ الخ) أي فلا تترك النظر والتأمل بالفكر في عاقبة الامور (حذار) اسم فعل مبني على الكسر بمعنى احذر والمكاذبة بمعنى الكذب (فهت) نطقت (بزور) كذب (دليتك الخ) امامن الدلالة والاصل دللتك بتشديد اللام فقلبت اللام الثانية ياء فرارا من كثرة الامثال كما في تظنيت أصله تظننت أو من قولك دلى الشيء اذا قرب من غيره (بغرور) أي بغير حق (وستخبر) أي ستعلم كنه هذا الحال (وتحمد الخ) أي تجد عاقبتهما حميدة تمدح بها (فهش) أي فرح (المصدوق) من صدقه الحديث وعرف الصدق (مغذا) مسرعا (يدلح) أي يمشي متثاقلا يقال دلح البعير يحمل دلوحا مشى به متثاقلا وسحابة دلوح واسحب الدوالح

يكلح فوضعهما لدى وضع المتمن علي وقال اضرب الجيش بالجيش تحظ بلذة العيش فحسرت عن ساعدالنهم وحملت حملة الفيل الملتهم وهو يلحظني كما يلحظ الحنق ويود من الغيظ لو اختنق حتى اذا هلقمت النوعين وغادرتهما أثرا بعد عين أقردت حيرة في اظلال البيات وفكرة في جواب الابيات فلبثت أن قام وأحضر الدواة والاقلام وقال قد ملأت الجراب فأمل الجواب والافتهيأ ان تكلت لاغترام ما أكلت فقلت له ما عندي الا التحقيق فاكتب الجواب وبالله التوفيق

قل لمن يلغز المسائل اني * كاشف سرها الذي تخفيه
ان ذا الميت الذي قدم الشر * ع أخا عرسه على ابن أبيه
رجل زوج ابنه عن رضاه * بحماة له ولا غرو فيه
ثم مات ابنه وقد علقت منه * فجاءت بابن يسر ذويه
فهو ابن ابنه بغير مراء * وأخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح أدنى الى الجد وأولى بارثه من أخيه
فلذا حين مات أوجب للزو * جة ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الاصل آخوها من أمها باقيه
وتخلى الاخ الشقيق من الار * ث وقلنا يكفيك أن تبكيه
هاك مني الفتيا التي يجتذبها * كل قاض يقضي وكل فقيه

قال فلما أثبت الجواب واستثبت منه الصواب قال لي أهلك والليل فشمر الذيل وبادر السيل

التي تسير سيرا ثقيلا من كثرة مائها (يكلح) يعبس (لدى) أي عندي (الجيش بالجيش) أي اخلط أحدهما بالآخر يعني كلهما معا أو المراد الاسنان العليا بالاسنان السفلى (تحظ) تفز وتغنم (فحسرت) كشفت (النهم) المفرط في شهوة الطعام (الملتهم) الذي لا يبقي ولا يذر والالتهام الابتلاع الشديد (يلحظني) أي ينظر الي (الحنق) الغضبان المغتاظ (ويود) يتمنى (لو اختنق) ولم يرد ذلك الاكل مني (هلقمت) التقمت من اللقم والهاء زائدة (النوعين) هما التمر واللبأ (وغادرتهما) تركتهما (أثرا) خبرا (بعد عين) بعد ما كانا بعيانان بالبصر (أقردت حيرة) سكت متحيرا (في اظلال) حضور واشراف (البيات) المبيت (قد ملأت الجراب) أي البطن وهو كناية عن الشبع (فأمل) أي لقن أمر من الاملاء (فتهيأ) فتأهب (ان تكلت) جبنت وعجزت (لاغترام) غرامة (يلغز) يستر ويعمي ويظهر خلاف ما يضمر (تخفيه) وفي نسخة يخفيه (عرسه) زوجته (بحماة) هي أم زوجته (ولا غرو) ولا عجب (علقت) حملت (يسر ذويه) أي يفرح أهله وفي نسخة له يحكيه (مراء) مماراة وجدال (تمويه) تزيين (الصريح) بالرفع صفة لابن أي الخالص (أدنى) أقرب (التراث) هو الميراث (وحوى) جمع (تخلى) أي لم يدخل فيه (هاك) أي خذ (يجتذبها) يتبعها ويقتدي بها (فقيه) عالم بالفقه (أثبت الجواب) حققت (واستثبت الخ) أي طلبت منه ثبوت الصواب (أهلك والليل) أي بادر أهلك واحذر ظلمة الليل (فشمر الذيل)

فقلت انى بدار غربة وفى ابوائى أفضل قربه لاسيما وقد أغدف جنح الظلام وسبح الرعد فى الغمام فقال اغرب عافاك الله الى حيث شئت ولا تقم فى أن تبيت فقلت ولم ذاك مع خلو ذراك قال لانى أنعمت النظر فى التقامك ما حضر حتى لم تبق ولم تذر فرأيتك لا تنظر فى مصلحتك ولا تراعى حفظ صحتك ومن أمعن فيما أمعنت وتبطن ما تبطنت لم يكد يخلص من كظة مدنفه أو هيضة متلفة فدعنى بالله كفافا واخرج عنى ما دمت معافى فوالذى يحيى ويميت مالك عندى مبيت فلما سمعت ألبته وبلوت بليته خرجت من بيته بالرغم وتزود الغم تجود فى السماء وتخبط فى الظلماء وتنبحنى الكلاب وتتقاذف بى الابواب حتى ساقنى اليك لطف القضاء فشكرا ليدك البيضاء فقلت له أحبب بافائك المتاح الى قلبى المرتاح ثم أخذ يفتن فى حكاياته ويشمط مضحكاته بمبكياته الى أن عطس أنف الصباح وهتف داعى الفلاح فتأهب لاجابة الداعى ثم عطف الى وداعى فعقته عن الابعاث وقلت الضيافة ثلاث فناشدنى وحرج ثم أم المخرج وانشد إذ عرج

لا تزر من تحب فى كل شهر * غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال فى الشهر يوم * ثم لا تنظر العيون اليه

قال الحارث بن همام فودعته بقولى ابدا مى القرح ووددت لو أن ليالى بطيئة الصبح (مقامات الحريرى)

يريد أمره بالجد فى السعى ولا يكون الا برفع الثوب الى الساقين (غربة) أى اغتراب فيها (وفى ابوائى) تبيتى (قربة) هى ما يتقرب به الى الله (لاسيما وقد أغدف الخ) أسود وأرخى سدول ظلمته (وسبح الرعد) أى صوت (أغرب) ابعد واذهب (ذراك) بالفتح أى محلك (أمعنت الخ) أى تأملت جيدا وفى نسخة أمعنت من الامعان وأصله أن تباعد الفرس فى عدوه ومراده بالغت فى النظر (التقامك) أكلك (ولم تذر) تترك وأراد أنه بالغ فى الاكل (ولا تراعى الخ) أراد انك لا تنظر فى عاقبة أمر صحتك (أمعن) أكثر (فيما أمعنت) أكثرت (وتبطن) ملأ بطنه (ما تبطنت) وفى نسخة كما تبطنت أى كملأ بطنك (كظة) كالغشية تعترى الانسان من الامتلاء وقيل الكظة الامتلاء من الطعام (مدنفة) ممرضة من دنف دنفا ثقل من المرض ودنى من الموت (أو هيضة) المراد بها هنا انطلاق البطن عن سوء الهضم (متلفة) مهلكة (كفافا) مسالمة أى تكف عنى وأكف عنك وانتصابه على الحال (معافى) سالما أى فى أن يصيبك شئ مما ذكرته (ألبته) جهده وقسمه (وبلوت) اختبرت (بليته) كناية عن أمر وحاله وأصل البلية الناقة تعقل عند قبر صاحبها لا تطعم ولا تسقى حتى تموت (بالرغم) أى بالكره والهوان والذل (وتزود الغم) أى جعله الغم زادا (تجود فى السماء) أى تمطر فى الجود بالفتح أى المطر (تخبط الخ) الباء فيه للتعدية يعنى تحملنى الظلماء على الخبط أى المشى بدون توقى شئ (وتتقاذف) أى ترمى يعنى اذا أردت دخول باب يقذف صاحب البيت باله الى ويغلقه (فشكرا) منصوب على المصدرية (لبدك البيضاء) يعنى لما صنع بى من الجميل (أحب) كلمة تعجب معناها ما أحب (المتاح) السهل اليسر (أخذ يفتن الخ) أى شرع يذكرها فتارة يفتن (ويشمط) أى يخلط (عطس أنف الصباح) يعنى بدا أول الصبح (وهتف) نادى (داعى الفلاح) منادى الفوز والمراد المؤذن (فتأهب) أى استعد (الداعى) أى المنادى وهو المؤذن (عطف) مال (وداعى) توديعى (عقته) عطلته ومنعته (الابعاث) التوجه والسير (الضيافة ثلاث) هو لفظ حديث ورد عنه صلى الله عليه وسلم وفى نسخة بعد ثلاث ويوجد فى بعض النسخ بعد قوله الضيافة ثلاث (وما حفرتك احتشاث وان ترحلت رحلة خرقاء نفصت اللقاء وسؤت الاصدقاء) الحفر الدفع والاحتشاث مصدر احتث مطاوع حثه على الشئ اذا حضه عليه والخرقاء الشديدة التى لا رفق فيها والتنغيص التكدير وقوله وسؤت الخ هو من السوء بالفتح وهو خلاف المسرة (فناشد) أى حلف ويروى خفف (وحرج) أى ضيق (أم المخرج) أى قصد الباب (عرج) يعنى عطف ومال عن الباب منصرفا (اجتلاء الهلال) مشاهدته (داعى القرح) أى مجروح من فراقه يسيل من جرحه الدم والقرح بالفتح والضم الجراحة وقيل بالضم الجراحة وبالفتح وجعها وجرحها (ووددت) تمنيت وأحببت (بطيئة الصبح) أى صبحها بطىء يعنى طويلة

من نثر لسان الدين بن الخطيب قوله

سهر الرشيد ليلة وقد مال عليه جيش الارق مبيتة وجهد ندماؤه في جلب راحته والمام النوم بساحته فشحت عيادهم ولم يغن اجتهادهم فقال اذهبوا الى طرق سماها ورسمها وأمهات قسمها فمن عثرتم عليه من طارق ليل أو غشاه سيل أو صاحب ذيل فبلغوه والأمنة سوغوه واستدعوه ولا تدعوه فطاروا عجالا وتفرقوا ركبانا ورجالا فلم يكن الا ارتداد طرف أو فواق حرف وأتوا بالغنيمة التي اكتسحوها والبضاعة التي ربحوها يتوسطهم الاشعث الاغبر واللج الذي لا يعبر شيخ طويل القامة ظاهر الاستقامة سبلته مشمطه وعلى أنفه من القبع مطه وعليه ثوب مرقوع لطير الحرق عليه وقوع يهيم بذكر مسموع وينبي عن وقت مجموع فلما مثل سلم ومانبس بعدها ولا تكلم فأشار اليه الملك فقعد بعد أن انشمر واستعد وجلس فما استرق النظر ولا اختلس انما حركة فكره معقودة بزمام ذكره ولحظات اعتباره في تفاصيل أخباره فابتدر الرشيد سائلا وانحرف اليه مائلا وقال ممن الرجل فقال فارسي الاصل أعجمي الجنس عربي الفصل قال بلدك وأهلك وولدك قال أما الولد فولد الديوان وأما البلد فمدينة الايوان قال النحلة وما أعملت اليه الرحلة قال أما الرحلة فالاعتبار وأما النحلة فالامر الكبار قال فنبئ الذي اشتمل عليه دنك فقال الحكمة فهي الذي جعلته أثيرا وأضجعت فيه فراشا وثيرا وسبحان الذي يقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما سوى ذلك فتبع ولي فيه مصطاف ومرتبع قال فتعاضد جزال الرشيد ويوقر كأنما أغشي وجهه قطعة من الصبح اذا أسفر وقال ما رأيت كالليلة أجمع لامل شارد وأنعم بموانسة وارد ياهذا اني سائلك ولن تخيب بعد وسائلك فأخبرني بما عندك في هذا الامر الذي بلينا بحمل اعبائه ومنينا بمراوضة ابائه فقال هذا الامر قلادة ثقيله ومن خطة العجز مستقيله ومفتقرة لسعة الذرع وربط السياسة المدنية بالشرع يفسدها الحكم في غير محله ويكون ذريعة الى حله ويصطحبه مقابلة الشكل بشكله ومن لم يكن سبعا أكلا تداعى السباع الى أكله فقال الملك أجملت ففصل وبريت فنصل وكلت فأوصل وانثر الحب لمن يحوصل واقسم السياسة فنونا واجعل لكل لقب قانونا وابدأ بالرعية وشروطها المرعية فقال رعيتك ودائع الله تعالى قبلك ومرآة العدل الذي عليه جبلك ولا تصل الى ضبطهم الا باعانة الله تعالى الذي وهب لك وأفضل ما استدعيت به عونه فيهم وكفايته التي تكفيهم تقديم نفسك عند قصد تقويمهم ورضاك بالسهر لتنويمهم وحراسة كهلهم ورضيعهم والترفع عن تضييعهم وأخذ كل طبقة بما عليها ومالها أخذا يحوط مالها ويحفظ عليها كمالها ويقصر عن غير الواجبات آمالها حتى تستشعر عليتها رأفتك

وحنانك وتعرف أوساطها فى النصب امتنانك وتحذر سفلتها بسنانك وحظر على كل طبقة منها أن تتعدى طورها أو تخالف دورها أو تجاوز بامر طاعتك فورها وسد فيها سبل الذريعة وأقصر جميعها عن خدمة الملك الا بموجب الشريعة وامنع اغنياءها من البطر والبطالة والنظر فى شبهات الدين بالتمشدق والاطالة وليقل فيما شجر بين الناس كلامها وترفض ما تنبذ به أعلامها فان ذلك يسقط الحقوق ويرتب العقوق وامنعهم من فحش الحرص والشره وتعاهدهم بالمواعظ التى تجلو البصائر من المره واحملهم من الاجتهاد فى العمارة على أحسن المذاهب وانههم عن التحاسد على المواهب وروضهم على الانفاق بقدر الحال والتعزى عن الفائت فرده من المحال وحدد البخل على أهل اليسار والسخاء على أولى الاعسار وخذهم من الشريعة بالواضح الظاهر وامنعهم من تأويلها منع القاهر ولا تطلق لهم التجمع على من انكروا أمره فى نواديهم وكف عنهم أكف تعديهم ولا تبح لهم تغيير ما كرهوه بايديهم ولتكن غايتهم فيما توجهت اليه ابايتهم ونكصت عن الموافقة عليه رايتهم انهاءه الى من وكلته بمصالحهم من ثقاتك المحافظين على أوقاتك وقدم منهم من امنت عليهم سكره وحدت على الانصاف شكره ومن كثر حياؤه من التأنيب وقابل الهفوة باستتابة المنيب ومن لا يتخطى عن محله الذى حله فربما عد الى المبرم فحله وحسن النية لهم بجهد الاستطاعة واغتفر المكاره فى جنب حسن الطاعة وان ثار جوادهم واختلف فى طاعتك مرادهم فتصفح ثورتهم واثبت لغورتهم فاذا سالوا وسلوا وتفرقوا وانسلوا فاحتقر كثرتهم ولا تقل عثرتهم واجعلهم ما بين أيديهم وما خلفهم انكالا ولا تترك لهم على حالك اتكالا ثم قال والوزير الصالح أفضل عددك وأوصل مددك فهو الذى يصونك عن الابتذال ومباشرة الانذال ويثب لك على الفرصه وينوب فى تجرع الغصه واستجلاء القصه ويستحضر ما نسيته من أمورك ويغلب فيه الرأى بموافقة مأمورك ولا يسعه ما تمكنك المسامحة فيه حتى يستوفيه واحذر مصادمة تياره والتجوز فى اختياره وقدم استخارة الله تعالى فى ايثاره وأرسل عيون الملاحظة على آثاره وليكن معروفا بالاخلاص لدولتك معقود الرضا والغضب برضائك وصولتك زاهدا عما فى يديك موثرا لكل ما يزلف لديك بعيد الهمة راعيا للازمة كامل الآلة محيطا بالاياله رحيب الصدر رفيع القدر معروف البيت نبيه الحى والميت موثرا للعدل والاصلاح دربا بحمل السلاح ذا خبرة بدخل المملكة وخرجها وظهرها وسرجها صحيح العقد متحرزا من النقد جادا عند لهوك مستيقظا فى حال سهوك يلين عند غضبك ويصل الاسهاب بمقتضبك قلقا من شكره دونك وحمده ناسبا لك الاصابة بعمده وان أعيا عليك وجودا كثر هذه الخلال

وسبق الى نقضها شئ من الاختلال فاطلب منه سكون النفس وهدوئها وأن لا يرى منك رتبة الا رأى قدره دونها وتقوى الله تعالى تفضل شرف الانتساب وهي للفضائل فذلكة الحساب وساو في حفظك عيبه بين قربه ونأيه واجعل حظه من نعمتك موازيا لحظك من حسن رأيه واجتنب منهم من يرى في نفسه الى الملك سبيلا أو يقود من عيصه للاستظهار ليلك قبيلا أو من كاثر مالك ماله أو تقدم لعدولك استعماله أو من سمت لسوالك آماله أو من يعظم عليه اعراض وجهك ويهمه نادر بخهلك أو من يداخل غير أحبابك أو من ينافس أحدا بابك وأما الجند فاصرف التقديم منهم للمقاتلة والمكايدة والمخاتلة واستوف عليهم شرائط الخدمة وخذهم بالثبات للصدمة ووف ما أوجبت لهم من الجرايه والنعمة وتعاهدهم عند الغناء بالعاطفة والطعمة ولا تكرم منهم الا من أكرمه غناؤه وطاب في الذب عن وطنك ثناؤه وول عليهم النبهاء من خيارهم واجتهد في صرفهم عن الافتتان باهليهم وديارهم ولا توطئهم الدعة مهادا وقدمهم على حصصك وبعوثك مهما أردت جهادا ولا تأنن لهم في الاغماض عن حسن طاعتك قيادا أو عودهم حسن المواساة بانفسهم اعتيادا ولا تسمح لاحدمنهم في اغفال شئ من سلاح استظهاره أو عدة اشتهاره وليكن ما فضل من شبعهم وريهم مصروفا الى سلاحهم وزيهم والتزيد في مراكبهم وغلمانهم من غير اعتبار لاثمانهم وامنعهم من المشغلات والمتاجر وما يتكسب به غير المشاجر وليكن من الغزو اكتسابهم وعلى المغانم حسابهم كالجوارح التي تفسد باعتيادها أن تطعم من غير اصطيادها واعلم أنها لا تبذل نفوسها من عالم الانسان الا ان يملك قلوبها بالاحسان وفضل اللسان ويملك حركاتها بالتقويم وبزنها بالميزان القويم ومن تثق باشفاقه على أولادها ويشترى رضى الله تعالى بصبره على طاعته وجلادها فاذا استشعرت لها هذه الخلال تقدمتك الى مواقف التلف مطيعة دواعي الكلف واثقة منك بحسن الخلف واستبق الى تميزهم استباقا وطبقهم طباقا أعلاها من تأملت منه في المحاربة عنك اخطارا وأبعدهم في مرضاتك مطارا وأضبطهم لما تحت يده من رجالك حزما ووقارا واستهانة بالعظائم واحتقارا وأحسنهم لمن تقلده أمرك من الرعية جوارا اذا أجدت اختيارا وأشدهم على مماطلة من مارسه من الجوارح عليك اصطبارا ومن يلي في الذي عن لك احلاء وامرارا ولحقه الضر في معارض الدفاع عنك مرارا وبعده من كانت محبته لك أزيد من نجدته وموقع رأيه أنفع من موقع صعدته وبعدهما من حسن انقياده لامرائك واحماده لآرائك ومن جعل نفسه من الامر حيث جعله وكان صبره على ما عراه أكثر من اعتداده بما فعله واحذر منهم من كان عند نفسه أكبر من موقعه في الانتفاع ولم يستحي من التزيد باضعاف ما بذله من الدفاع وشكى البخس فيما تعذر عليه من

فوائدك وقاس بين عوائد عدوك وعوائدك وتوعد بانتقاله عنك وارتحاله وأظهر الكراهية لحاله وأما العمال فانهم ينبؤن عن مذهبك وحالهم في الغالب شديدة الشبه بك فعرّفهم في أمانتك السعادة وألزمهم في رعيتك العاده وأنزلهم من كرامتك بحسب منازلهم في الانصاف بالعدل والانصاف وأ-لهم من اخفايه بنسبة مراتبهم من الامانة والكفايه وقفهم عند تقليد الارجاء مواقف الخوف والرجاء وقرر في نفوسهم أن أعظم مايه اليك تقربوا وفيه تدربوا وفي سبيله أعجموا وأعربوا اقامة حق ودحض باطل حتى لايشكو غريم مطل ماطل وهو آثر لديك من كل رباب هاطل وكفهم من الرزق الموافق عن التصدي لدنئ المرافق واصطنع منهم من تيسرت كلفته وقويت للرعايا ألفته ومن زاد على تأميله صبره وأربى على خبره خبره وكانت رغبته في حسن الذكر تشف على بنات الفكر واجتنب منهم من يغلب عليه التخرق في الانفاق وعدم الاشفاق والتنافس في الاكتساب وسهل عليه سوء الحساب وكانت ذريعة المصانعة بالنفايه دون التقصي والكفايه ومن كان منشؤه خاملا ولاعباء الزناة حاملا وابغ من يكون الاعتذار في أعماله أوضح من الاعتذار في أقواله ولايفتنك ممن قلدته اجتلاب الحظ المقنع والتنفق بالسعي المسمع ومخالفة السنن المرعيه واتباعه رضاك بسخط الرعية فانه قد غشك من حيث بلاك ورشك وجعل من يمينك في شمالك حاضر مالك ولاتضمن عاملا مال عمله وحل بينه فيه وبين أمله فانك تميت رسومك بمحياه وتخرجه من خدمتك فيه الا أن تملكه اياه ولاتجمع له بين الاعمال فيسقط استظهارك ببلد على بلد والاحتجاج على والد بولد واحرص على أن يكون في الولاية غريبا ومنتقلة تملك قريبا ورهينة لايزال معها مريبا ولاتقبل مصالحته على شئ اختانه ولو برغبة فتانه فتقبل المصانعة في أمانتك وتكون مشاركاته في خيانتك ولاتطل مدة العمل وتعاهد كشف الامور ممن يرعى الهمل ويبلغ الامل وأما الولد فأحسن آدابهم واجعل الخير دأبهم وخف عليهم من اشفاقك وحنانك أكثر من غلظة جنانك واكتم عنهم ميلك وأفض فيهم جودك ونيلك ولاتستغرق بالكلف بهم يومك ولاليلك وانبههم على حسن الجواب وسبق لهم خوف الجزاء على رجاء الثواب وعلمهم الصبر على الضرائر والمهلة عند استخفاف الجرائر وخذهم بحسن السرائر وحبب اليهم مراس الامور الصعبة المراس وحسن الاصطناع والاحتراس والاستكثار من أولى المراتب والعلوم والسياسات والحلوم والمقام المعلوم وكرّه اليهم مجالسة الماهين ومصاحبة الساهين وجاهد أهواءهم عن عقولهم وحذر الكذب على مقولهم ورشحهم اذا آنست منهم رشدا أو هديا وأرضعهم من الموازرة والمشاورة ثديا لتمرنهم على الاعتياد وتحملهم على الازدياد ورضهم رياضة الجياد واحذر عليهم الشهوات فهي داؤهم وأعداؤك في الحقيقة وأعداؤهم

وتدارك الاخلاق الذميمة كلما تجمعت واقذعها اذا هجمت قبل أن يظهر تضعيفها ويقوى ضعيفها فان أعجزتك في الصغر الحيل عظم الميل

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

واذا قدروا على التدبير وتشوفوا للعمل الكبير اياك أن توطنهم في مكانك جهدا مكانك وفرقهم في بلدانك تفريق عبدانك واستعملهم في بعوث جهادك والنيابة عنك في سبيل اجتهادك فان حضرتك تشغلهم بالتحاسد والتباري والتفاسد وانظر اليهم باعين الثقات فان عين الثقة تبصر مالا تبصر عين المحب والمقة وأما الخدم فانهم بمنزلة الجوارح التي تفرق بها وتجمع وتبصر وتسمع فرضهم بالصدق والامانة وصنهم صون الجمانة وخذهم بحسن الانقياد الى ما أثرته والتقليل مما استكثرته واحذر منهم من قويت شهواته وضاقت عن هواه الهواته فان الشهوات تنازعك في استرفاده وتشاركك في استحقاقه وخيرهم من ستر ذلك عنه بلطف الحيلة وأدأب للفساد محيله وأشرب قلوبهم ان الحق في كل ما حاولته واستنزلته وان الباطل في كل ما جانبته واعتزلته وان من تصفح منهم أمورك فقد أذنب وباين الادب وتجنب وأعط من أكددته واضقت منه ملكه وشددته روحة يشتغل فيها بما يعنيه على حسب صعوبة ما يعانيه تغبطهم فيها بمسارحهم وتجم كلية جوارحهم ولتكن عطاياك فيهم بالمقدار الذي لا يبطر أعلامهم ولا يؤسف الاصاغر فيفسد أحلامهم ولا ترم محسنهم بالغاية من احسانك واترك لمزيدهم فضله من رفدك ولسانك وحذر عليهم مخالفتك ولوفي صلاحك بحد سلاحك وامنعهم من التواثب والتشاجر ولا تحمد لهم شيم التقاطع والتهاجر واستخلص منهم لسرك من قلت في الافشاء ذنوبه وكان أصبر على ما ينوبه ولوداعك من كانت رغبته في وظيفة لسانك أكثر من رغبته في احسانك وضبطه لما تقلده من وديعتك أحب اليه من حسن صنيعتك وللسفارة عنك من جلي الصدق في فمه وآثره ولو باختطار دمه واستوفي لك وعليك منهم ما تحمله وعني بلفظه حتى لا يحمله ولن يودعه أعداء دولتك من كان مقصور الامل قليل القول صادق العمل ومن كانت قسونه زائدة على رحمته وعظمه في عرضاتك آثر من شحمته ورأيه في الحذر سديد وتحرزه من الحيل شديد ولخدمتك في ليلك ونهارك من لانت طباعه وامتد في حسن السجية باعه وأمن كيده وغدره وسلم من الحقد صدره ورأى المطامع فطامع واستقل اعادة ما سمع وكان بريئا من الملال والبشر عليه أغلب الخلال ولا تؤنسهم منك بقبيح فعل ولا قول ولا تؤيسهم من طول ومكن في نفوسهم ان أقوى شفعائهم وأقرب الى الاجابة من دعائهم اصابة الغرض فيما به وكلوا وعليه شكلوا فانك لا تعدم بهم انتفاعا ولا يعدمون لديك ارتفاعا وأما الحرم فهم مغارس الولد ورياض الخلد

وراحة القلب الذى اجهدته الافكار والنفس التى تقسمها الاحمال الى المساعى والافكار فاطلب منهن من غلب عليهن من حسن الشيم المرتفعة عن القبيح مالا يسوءك فى خلدك أن يكون فى ولدك واحذر أن تجعل لفكر بشر دون بصرك اليهن سبيلا وانصب دون ذلك عذابا وبيلا وأرعهن من النساء العجز من بانت فى الديانة والامانة سبله وقويت غيرته ونبله وخذهن بسلامة النيات والشيم السيئات وحسن الاسترسال والخلق السلسال وحذر عليهن التغامز والتغاير والتنافس والتخاير وأس بينهن فى الاغراض والتصامم من الاعراض والمحاباة بالاعراض وأقلل من مخالطتهن فهو أبقى لهمتك وأسبل لحرمتك ولتكن عشرتك لهن عند الكلال والملال وضيق الاحتمال بكثرة الاعمال وعند الغضب والنوم والفراغ من نصب اليوم واجعل مبيتك بينهن تتم بركاتك وتسترح حركاتك وافصل من ولدت منهن الى مسكن تختبره استقلالها وتعتبر بالتفرد خلالها ولا تطلق لحرمة شفاعة ولا تدبيرا ولا تنط بها من الامر صغيرا وكبيرا واحذر أن يظهر على خدمهن من خروجهن عن القصور وبروزهن من أجمة الاسد الهصور زى بارع ولا طيب للانوف مسارع واخصص بذلك من طعن فى السن وليس من الانس والجن ومن توافر النزوع الى الخيرات قبله وقصر عن جمال الصورة ورسم بالبله ثم لما بلغ الى هذا الحد حمى طيس استجفاره وختم حزبه باستغفاره ثم صمت مليا واستعاد كلاما أوليا ثم قال واعلم يا أمير المؤمنين سدد الله تعالى سهمك لاغراض خلافته وعصمك من الزمان وآفته أنك فى مجلس الفصل ومباشرة الفرع من ملكك والاصل فى طائفة من عز الله تعالى تذب عنك حماتها وتدافع عن حوزتك كماتها فاحذر أن يعدل بك غضبك عن عدل تزرى منه بضاعه أو يهجم بك رضاك على اضاعه ولتكن قدرتك وقفا على الانصاف بالعدل والانصاف واحكم بالسوية واجنح بتدبيرك الى حسن الرويه وخف أن تقعدك أناتك عن حزم تعين أو تستفزك العجلة فى أمر لم يتبين وأطع الحجة ما توجهت اليك ولا تحفل بها اذا كانت عليك فانقيادك اليها أحسن من ظفرك والحق اجدى من نفرك ولا تردن النصيحة فى وجهه ولا تقابل عليها بنجه فتمنعها اذا استدعيتها وتحجب عنك اذا استوعيتها ولا تستدعها من غير أهلها فيشفيك اولوا الاغراض بجهلها واحرص على ان لا ينقضى مجلس جلسته أو زمن اختلسته الا وقد أحرزت فضيلة زائده أو وثقت منه فى ميعادك بفائده ولا يزهدنك فى المال كثرته فتقل فى نفسك اثرته وقس الشاهد بالغائب واذكر وقوع ما لا يحتسب من النوائب فالمال المصون امنع الحصون ومن قل ماله قصرت آماله وتهاون بيمينه شماله والملك اذا فقد خزينه اخنى على أهل الجلدة التى تزينه وعاد على رعيته بالاجحاف وعلى جبايته بالاخلاف وساء معتاد عيشه وصغر فى عيون

جيشه ومنواعليه بنصره واتفوامن الاقتصارعلى قصره وفى المال قوة سماوية تصرف الناس لصاحبه وتربط آمال أهل السلاح به والمال نعمة الله تعالى فلا تجعله ذريعة الى خلافه فتجمع بالشهوات بين اتلافك واتلافه واستأنس بحسن جوارها واسرف فى حقوق الله تعالى بعض أطوارها فان فضل المال عن الاجل فأجل ولم يضر ماخلف منه بين يدى الله عزوجل وماينفقه فى سبيل الشريعة وسد الذريعة مأمون خلفه وماسوا فتعين تلفه واستخلص لنواديك المناصه ومجالسك العامة والخاصه من يليق بولوج عتبها والعروج لرتبها أما العامة فمن عظم عند الناس قدره وانشرح بالعلم صدره أوظهر يساره وكان لله تعالى اخباته وانكساره ومن كان للفتيا منتصبا وبتاج المشورة معتصبا وأما الخاصة فمن رقت طباعه وامتد فيما يليق بتلك المجالس باعه ومن تبحر فى سير الحكما وأخلاق الكرما ومن له فضل سافر وطبع للدنية منافر ولديه من كل ماتستتر به الملوك من العوام حظ وافر وخف ألبابهم بمحصول خيرك وسكن قلوبهم بيمن طيرك وأغنهم ماقدرت عن غيرك واعلم بان مواقع الحكام من ملكك مواقع المشاعل المتألقة والمصابيح المتعلقة وعلى قدر تعاهدها تبذل من الضياء وتجلو بنورها صور الاشياء وفرعها التحبير مايزين مدتك ويحسن من بعد البلاجدتك وبعنايته الاواخر ذكرت الاول واذا محيت المفاخر خربت الدول واعلم ان بقاء الذكر مشروط بعمارة البلدان وتخليد الآثار العافية فى القاصى والدان فاحرص على مايوضح فى الدهر سبلك ويحرز المزية على من قبلك وان خير الملوك من ينطق بالحجة وهو قادر على القهر ويبذل الانصاف فى السر والجهر مع التمكن من المال والظهر ويسار الرعية جمال للملك وشرف وفاقتهم من ذلك طرف فقلب اليهم الحالين بحملك وأولاهما بظعنك وحلك واعلم ان كرامة الجور دائره وكرامة العدل متكاثره والغلبة بالخير سياده وبالشر هواده واعلم أن من حسن القيام بالشريعة يحسم عنك نكايات الخوارج ويسمو بك الى المعارج فانها تفسد أنواع الخدع وتؤدى لتغير الهدع وأطلق على عدوك أيدى الاقوياء عن الاكفاء والسنة اللفيف من الضعفاء واستشعر عند نكثه شعار الوفا ولتكن ثقتك بالله تعالى أكثر من ثقتك بقوة تجدها وكتيبة تتخذها فان الاخلاص يمنحك قوى لاتكتسب ويمهدلك مع الاوقات نصرا لايحتسب والتمس أبدا سلم من سالمك بنفيس مافى يدك وفضل حاصل يومك على منتظر غدك فان أبى وضحت محجتك وقامت عليه للناس بذلك حجتك فللنفوس على الباغين ميل ولها من جانبه نيل واشهد فى كل يوم سيرة من يناديك واجتهد ان لايوازيك فى خير ولايساويك واكذب بالخير مايشيعه من مساويك ولاتقبل من الاطراء الا ماكان فيك فضل عن اطالته وجد يزرى على بطالته ولاتلق المذنب بحميتك وسبك واذكر عند حركة الغضب

ذنوبك الى ربك ولا تنس الدرب المذنب أجلسك مجلس الفصل وجعل فى قبضتك رياش النصل
وتشاغل فى هدنة الايام بالاستعداد واعلم ان التراخى منذر بالاشتداد ولا تهمل عرض ديوانك
واختبار أعوانك وتحصين معاقلك وقلاعك وعم ايالتك بحسن اطلاعك ولا تشغل زمن
الهدنة بلذاتك فتجنى فى الشدة على ذاتك ولا تطلق فى دولتك ألسن الكهانة والارجاف
ومطاردة الآمال العجاف فانه يبعث سوء القول ويفتح باب العول وحذر على المدرسين والمتعلمين
والعلماء والمتكلمين حمل الاحداث على الشكوك الخالجه والمزلات الوالجه فانه يفسد طباعهم
ويغرى سباعهم ويمد فى مخالفة الملة باعهم وسد سبيل الشفاعات فانها تفسد عليك حسن
الاختيار ونفوس الخيار وابذل فى الاسرى من حسن ملكتك ما يرضى عن ملكك رقابها وقلدك
ثوابها وعقابها وتلق بدرنهارك بذكر الله تعالى فى ترفعك وابتذالك واختم اليوم بمثل ذلك واعلم
انك مع كثرة حجابك وكثافة حجابك بمنزلة الظاهر للعيون المطالب بالديون لشدة البحث عن
أمورك وتعرف السر الخفى بين آمرك ومأمورك فاعمل فى سرك مالا تستقبح أن يكون ظاهرا
ولا تأنف أن تكون به مجاهرا واحكم برأيك فى الله ونحتك وخف من فوقك يخف من تحتك
واعلم أن عدوك من أتباعك من تناسيت حسن قرضه أو زادت مؤنته على نصيبه منك وفرضه
فاصمت الحجيج وتوق اللجيج واستر بالامل ولا يحملنك انتظام الامور على الاستهانة بالعمل
ولا تحقرن صغير الفساد فيأخذ فى الاستشراء واحبس الالسنة عن التحالى باغتيابك والتشبث
باذيال ثيابك فان سوء الطاعة ينتقل من الاعين الباصره الى الالسن القاصره ثم الى الايدى
المتناصره ولا تشق بنفسك فى قتال عدو ناوالك حتى تظفر بعدو غضبك وهوالك وليكن خوفك
من سوء تدبيرك أكثر من عدوك الساعى فى تتبيرك واذا استنزلت ناجما أو أمنت سائرا هاجما
فلا تقلده البلد الذى فيه نجم وهو ل عارضه فيه وانسجم يعظم عليك القدح فى اختياره والغض
من ايثاره واحترز من كيده فى جوارك ومأمنك فانك أكبرهمه وليس باكبر همك وجعل المملكة
بتأمين الفلوات وتسهيل الاقوات وتجديد ما يتعامل من الصرف فى البياعات واجراء العوائد مع
الايام والساعات ولا تبخس عيار قيم البضاعات ولتكن يدك عن أموال الناس محجورة وفى
احترامها الاعن الثلاثة ماجوره مال من عدا طوره طور أهله وتخارق فى الملابس والزينة
وفضول المدينة يروم معارضتك بحمله ومن باطن أعدائك وان اعتدالك ومن أساء جوار رعيتك
باحساره وبذل الاذاية فيهم بيمينه ويساره وأضر ما منيت به التعادى بين عبدانك أو فى بلد من
بلدانك فسد فيه الباب واسئل عن الاسباب وانقلهم بوساطة أولى الالباب الى حالة الاحباب
ولا تطوق الاعلام أطواق المنون بهواجس الظنون فهو أمر لا يقف عند حد ولا ينتهى الى عد
واجعل ولدك فى احتراسك حتى لا يطمع فى افتراسك

ثم لما رأى الليل قد كاد ينتصف وعموده يريد أن ينقصف ومجال الوصايا أكثر مما يصف قال يا أمير المؤمنين بحر السياسة زاخر وعمر المتمتع بناديك مستأخر فان أذنت في فن من فنون الانس يجذب بالمقاد الى راحة الرقاد ويعتق النفس بقدرة ذي الجلال من ملكة الكلال فقال أما والله قد استحسنا ما سردت فشأنك وما أردت فاستدعى عودا فاصلحه حتى جده وأبعد في اختياره أمده ثم حرك به وأطال الحبس ثمه ثم تغنى بصوت يستدعى الانصات ويصدع الحصاة ويستفز الحليم عن وقاره ويستوقف الطير ورزق بنيه في منقاره وقال

صاح ما أعطر القبول بنمه * أتراها أطالت الليث ثمه
هي دار الهوى مني النفس فيها * أبد الدهر والامانى جمه
ان يكن ما تأرج الكون منها * واستفاد الشذا والانفمه
من لطرف بنظرة ولاثق * في رباها وفي ثراها بشمه
ذكر العهد فانتفضت كاني * طرقتني من الملائك لمه
وطن قد قضيت فيه شبابا * لم تدنس منه البرود مذمه
بنت عنه والنفس من أجل من قد * خلفته خلاله مغتمه
كان حلما فويح من أمن الدهر * وأعماه جهله وأصمه
تأمل العيش بعد أن خلق الجسم * وبنيانه عسير المرمه
وغدت وفرة الشبيبة بالشيب * على رغم أنفها مغتمه
فلقد فاز سالك جعل الله * الى الله قصده ومأمه
من بيت من غرور دنيا بهم * يلدغ القلب أكثر الله همه

ثم أحال اللحن الى لون التنويم فاخذ كل في النعاس والتهويم وأطال الجس في فن الثقيل عاكف عكوف الضاحي في المقيل فخاط عيون القوم بخيوط النوم وعمر بهم المراقد كانما أدار عليهم الفراقد ثم انصرف فما علم به أحد ولا عرف ولما أفاق الرشيد جد في طلبه فلم يعلم بمنقلبه فاسف للفراق وأمر بتخليد حكمه في بطون الاوراق فهي الى اليوم تتلى وتتنقل وتجلى القلوب بها وتصقل والحمد لله رب العالمين

(من نفح الطيب)

محاورة بين السيف والقلم

(للعلامة الشيخ جمال الدين بن نباتة المصرى)

قال العلامة تقى الدين بن حجة الحموى ان الشيخ جمال الدين أظهر فى المغايرة بين السيف والقلم ماصدق به قول القائل

وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

من ذلك قوله فى رسالة المفاخرة بينهما والمغايرة فى مدح كل منهما وذمه فبرز القلم بافصاحه ونشط لارتياحه ورقى من الانامل على أعواده وقام خطيبا بمحاسنه فى حلة مداده والتفت الى السيف فقال

بسم الله الرحمن الرحيم * ن والقلم وما يسطرون ماأنت بنعمة ربك بمجنون الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم وخط به ماقدر وقسم وصلى الله على سيدنا محمد الذى قال جف القلم بما هو كائن وعلى آله وصحبه ذوى المجد المبين وكل مجد بائن صلاة واضحة السطور فائحة من أدراج الصدور مانقلت صحف البحار غواديها وكتبت أقلام النور على مهارق الدياجى حكمة باريها أما بعد فان القلم منار الدين والدنيا ونظام الشرف والعليا ومجداح سحب الخير اذا احتاجت الهمم الى السقيا ومفتاح باب اليمن المجرب اذا أعيا وسفير الملك المحبب وعذيق الملك المرجب وزمام أموره السائره وقادمة أجنحته الطائره ومطلق أرزاق عفاته المتواترة وأغلة الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخره به رقم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التى تهذب الخواطر الخواطل فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنه وحسبه ماجرى على يده الكريمة من منه وفى مراضى الدول عونة للشائدين وبعين الله فى ليالى النفس تقلب وجهه فى الساجدين ان نظمت فرائد العلوم فانما هو سلكها وان علت أسرة الكتب فانما هو ملكها وان رقت برود البيان فانما هو حلالها وان تشعبت فنون الحكم فانما هو أمانها ومالها واذا انقسمت أمور الممالك فانما هو عصمها وعمالها وان اجتمعت رعايا الصنائع فانما هو امامها المتلفع بسواده وان ذخرت بحار الافكار فانما هو المستخرج درها من ظلمات مداده وان وعد أوفى بجلب النفع وان أوعد أخاف كانما يستمد من النقع هذا وهو لسان الملوك المخاطب ورسيلها الابكار الفتوح والخاطب والمنفق فى تعمير دولها محصول أنفاسه والمتحمل أمورها الشاقة على عينه ورأسه والمتيقظ لجهاد أعدائها والسيف فى جفنه نائم والمجهز لبأسها وكرمها جيشى الحروب والمكارم والجارى بما أمر الله من العدل والاحسان

والمسود الناصر فكأنما هو لعين الدهر انسان طالما ذب عن حرمها فشد الله أزره ورفع ذكره وقام في المحاماة عن دينها أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره وقاتل على البعد والصوارم في القرب وأوتي من معجزات النبوة نوعا من النصر بالرعب وبعث بحافل السطور فالقسي دالات والرماح ألفات واللامات لامات والهمزات كواسر الطير التي تتبع الحافل والتربة عجاجها المحمر من دم الكلى والمفاصل فهو صاحب فضيلتي العلم والعلم وصاحب ذيلي الفخار في الحرب والسلم لا يعاديه الا من سفه نفسه ولبس لبسه وطبع على قلبه وفل الجدال من غربه وخرج في وزن المعارضة عن ضربه وكيف يعادي من اذا كرع في نفسه قيل انا أعطيناك الكوثر واذا ذكر شانئه السيف قيل ان شانئك هو الابتر أقول قولي هذا وأستغر الله من الشرف وخيلائه والفخار وكبريائه وأتوكل على الله فيما حكم وأسأله التدبير فيما جرى به القلم ثم اكتفى بما ذكره من أدواته وجلس على كرسي دواته متمثلا بقول القائل

قلم يفل الجيش وهو عرمرم * والبيض ماسلت من الاغماد
وهبت له الايام حين تشابها * كرم السيول وصولة الآساد

فعند ذلك نهض السيف قائما عجلا وتلمظ لسانه للقول مرتجلا وقال بسم الله الرحمن الرحيم وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز الحمد لله الذي جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها في ذوي العصيان فأغصتهم بماء الحتوف وشيد مراتب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وعقد هم صوف وأجناهم من ورق حديدها الاخضر ثمار نعيمها الدانية القطوف وصلى الله على سيدنا محمد هازم الالوف وعلى آله وصحبه الذين طالما محوا بريق الصوارم سطور الصنوف صلاة عاطرة في الانوف حالية بها الاسماع كالشنوف وسلم أما بعد فان السيف زند الحق الوري وزنده القوي وحده الفارق بين الرشيد والغوي والنجم الهادي الى العز وسبيله والثغر الباسم عن ثباشيره فلوله به أظهر الله الاسلام وقد جنح خفاء وجلى شخص الدين الحنفي وقد جمح جفاء وأجرى سيوفه بالاباطح فأما الحق فمكث وأما الباطل فذهب جفاء وحملته اليد الشريفة النبويه وخصته على الاقلام بهذه المزية وأوضحت به للحق منهاجا وأطلعته في ليالي النقع والنشك سراجا وهاجا وفتحت باب الدين بصباحه حتى دخل فيه الناس أفواجا فهو ذو الرأي الصائب وشهاب العزم الثاقب وسماء العز التي زينت من آثاره بزينة الكواكب والحد الذي كأنه ماء دافق يخرج عند قطع الاجساد من بين الصلب والترائب لا تجحد آثاره ولا ينكر قراره اذا اشتبكت في الدجى والنقع ناره يجمع بين الحالتين الباس والكرم ويصاغ في طوق الحليتين فهو اما طوق في نحور الاعداء واما خلخال في عراقيب أهل النقم ويحسم به أهواء الفتن المضلة ويحذف بهمته الجازمة

حروف العلة واذا انحنى فى سماء القتام بالضرب فقل يسألونك عن الاهلة فهو القوى الاستطاعة الطويل المعمر اذا قصف سواه فى ساعة فما أولاه بطول الاحسان وما أجل ذكره فى أخبار المعمرين ومقاتل الفرسان كأن الغيث فى غمده للطالب المنتجع وكأنه زناد يستضاء به الا أن دفع الدماء شرره الملتمع كم قد مد غادرك لطلاب ودعا النصر بلسانه المحمر من أثر الدماء فاجاب وتشعبت الدول لقائم نصره المنتظر وحازت أبكار الفتوح بحده الذكر وغدت يامهابه ذات حجول معلومة وغرر وشدت به الطهور وحدت علائقه فى الامور واتخذته الملوك حرزا لسلطانها وحصنا على أوطانها وقطانها وجردته على صروف الاقدار فى شأنها وندب فاأعيت عليه المصالح وباشر الملم فهو على الحقيقة بين الهدى والضلال فرق واضح وأغاث فى كل فصل فهو اما لمده سعد الاخبيه واما لخاطره سعد السعود واما لضده سعد الذابح يجلس على رؤس الاعداء قهرا ويشرح أنباء الشجاعة قائلا للقلم ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا وهل يفاخر من وقف الموت على بابه وعض الحرب الضروس بنابه وقذفت شياطين القراع بشهبه ومنح آيات شر بفقمنها طلوع الشمس من غربه ومنها ان الله أنشأ برقه فكان للمارد مصرعا وللرائد مرتعا ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا كم اتخذ من جسد طرسا وكتب عليه حرفا لا ينسى فيه للالباب عبرة وللاذهان السابحة غمرة بعد غمرة أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم من لفظ يجمع ورأى الى الخصام يجنح ولسان يحوجه اللدد الى أن يخرج فيخرج وأتوكل عليه فى صد الباطل وصرفه وأسأله الاعانة على كل باحث عن حتفه بظلفه ثم اختفى فى بعض الحمائل وتمثل بقول القائل

سل السيف عن أصل الفخار وفرعه * فانى رأيت السيف أفصح مقولا

فلما وعى القلم خطبته الطويلة الطائلة ونشطته الجليلة الجائلة وفهم كنايته وتلويحه وتعريضه بالذم وتصريحه وتعديله فى الحديث وتجريحه استغاث باللفظ النصير واحتد وما أدراك ما حدة القصير وقام فى دوائه وقعد واضطرب فى وجه القرطاس وارتعد وعدل الى السب الصراح ورأى أنه ان سكت تكلم ولكن بافواه الجراح فانحرف الى السيف وقال أيها المعتز بطبعه المغتر بلمعه انتقض حبل الانس بقطعه الناسخ بجعبره من ظلال العيش فيأ السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ الخبيس الذى طالما عادت عليه عوائد شره الكمين الابليس الذى لو أمر لى بالسجود لقال خلقتنى من نار وخلقته من طين أتعرض بسبى وتتعرض لمكايد حربى ألست ذا الخدع البالغة والحرب خدعة والمنن النافعة ولا خير فيمن لا تبغى الانام نفعه ألست المسود الاحق بقول القائل

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الجود والاقداما

أتفاخرني وأنا الوصل وأنت للقطع وأنا العطاء وأنت للمنع وأنا الصلح وأنت للضراب وأنا العمارة وأنت للخراب وأنا المعمر وأنت المدمر وأنت المقلد وأنا صاحب التقليد وأنت العابث وأنا المجود ومن أولى من القلم بالتجويد فما أقبح شبهك وما أشنع يوما ترى فيه العيون وجهك أعلى مثلي يشق القول ويرفع الصوت والصول وأنا ذو اللفظ المكين وأنت ممن دخل تحت قوله تعالى أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فقد تعديت حدك وطلبت ما لم تبلغ به جهدك هيهات أنا المنتصب لمصالح الدول وأنت في الغمد طريح والمتعب في تمهيدها وأنت غافل مستريح والساهر وقدموه دلك في الغمد مضجع والجالس عن يمين الملك وأنت عن يساره فأي الحالتين أرفع والساعي في تدبير حال القوم والمغني لنفعهم العمر إذا كان نفعك يوما أو بعض يوم فاقطع عنك أسباب المفاخرة واستر أنيابك عند المكاثرة فما يحسن بالصامت محاورة المفصح والله يعلم المفسد من المصلح على أنه لا ينكر لك التصدي ولا يستغرب منه على مثلي التعدي ما أنا أول من أطاع الباري وتجرأ عليه ومد يد العدوان إليه أولست الذي قيل فيه شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم قد سلبت الرحمة واغبر يرحم الله من عباده الرحماء وجانبت القسوة فكم هيجت سبعة حمراء وأثرت دهماء وخشنت الوجوه كيف لا وأنت كالظفر كونا وقطعة اللذات ولم لا وأنت كالصبح لونا أين بياضك من حلمي وجهلك من علمي وجسمك من جسمي شتان ما بين جسم صيغ من ذهب وذاك جسمي وجسم صيغ من بهق أين عينك الزرقاء من عيني الكحيلة ورؤيتك الشنعاء من رؤيتي الجميلة أين لون الشيب من لون الشباب وأين نذير الأعداء من رسول الأحباب هذا وكم أكلمت الأكباد غيظا وحميت الأضغان قيظا وشكوت الصداء فسقيت ولكن بشواظ من نار وأخنت عليك الأيام حتى اتصل بياضك الحمار ولولا تعرضك لي لما وقعت في المقت ولولا إساءتك لما كنت تصقل في كل وقت فدع عنك هذا الفخر المديد وتأمل وصفي إذا كشف عنك الغطاء فبصرك اليوم حديد وافهم قول ابن الرومي

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الأمم
فالموت والموت لا شيء يعادله * ما زال يتبع ما يجري به القلم
بذا قضى الله في الأقلام إذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

فعند ذلك وثب السيف على قده وكاد الغضب يخرجه عن حده وقال أيها المتطاول على قصره والمائي على طريق غرره والمتعرض مني إلى الدمار والمتحرش بي فهو كما تقول العامة ذنبه قش ويحترس بالنار لقد شمرت عن ساقك حتى أغرقتك الغمرات وأتعبت نفسك فيما لا تدرك إلى أن

أذهبها التعب حسرات أولست الذى طالما أرعش السيف الهيبة عطفك ونكس للخدمة رأسك وطرفك وأمر بعض رعيته وهو السكين فقطع قفاك وشق أنفك ورفعك فى مهمات خامله وحطك وجذبك للاستعمال وقطك فليت شعرى كيف جسرت وعبست على مثلى وبسرت وأنت السوقة وأنا الملك وأنا الصادق وأنت المؤتفك وأنت لصون الحطام وأنا لصون الممالك وأنت لحفظ المزارع وأنا لحفظ المسالك وأنت للفلاحة وأنا للفلاح وأنت حاطب الليل من نفسه وأنا سارى الصباح وأنا الباصر وأنت الارمد وأنا المخدوم الابيض وأنت الخادم الاسود وأقسم بمن صيرنى قبضتى أنواع اليمن المسخره وجعل شخصك وشخصى كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة انك عن بلوغ قدرى لأزل رتبة وعن برى كفى لأخيب طلبه فانى لا أنكر قول بعض أربابك حيث قالوا

أف لرزق الكتبه * أف له ما أصعبه
يرتشف الرزق به * من شق تلك القصبه
يا قلما يرفع فى الطرس لوجهى ذنبه
ما أعرف المسكين الا كاتبا ذا مستربه

ان عاينت الديوان وقعت فى الحساب والعذاب أو البلاغة سحرت وبالغت فانت ساحر كذاب أو ظفرت بتقييد العلوم فمالك منها سوى لمحة الطرف أو برقم المصاحف فانك تعيد الله على حرف أو جمعت عملا فانما جمعك للتكسير أو رفعت الى طرفك رجع لبصرك خاسئا وهو حسير وهل أنت فى الدول الاخيال تكتفى الهمم بطيفه أو أصبع يلعق بها الرزق اذا أكل الضارب بقائم سيفه وساع على رأسه قل ما أجدى وسار ربما أعطى قليلا وأكدى ثم وقف وأكدى أين أنت من حظى الاسنى وكفى الاغنى وما خصصت به من الجوهر الفرد اذا عجزت أنت عن العرض الادنى كم برزت فما أغنيت فى مهمه وكم خرجت من دواتك لتسطير سيئة فخرجت كما قيل من ظلمة الى ظلمه وهب انك كما قلت مفتوق اللسان جرى الجنان مداحل بمغلبك بين ذوى الاقتناص معدود من شياطين الدول وأنت فى الطرس أو النقس بين بناء وغواص فلو جريت خلقى الى أن تحفى وصحت بصريرك الى أن تخفت وتخفى فما كنت منى الا بمنزلة المدرة من السمالك الرامح والبعرة على تيار الخضم الطافح فلا تعد نفسك بمعجزى فانك ممن عين ولا تحلف لها أن تبلغ مداى فليس لخضوب البنان عين ومن صلاح نجمك أن تعترف بفضلى الاكبر وتؤمن بمعجزتى التى بعثت منك الى الاسود والاحمر لتستوجب حقا وتسلم من نار حرتلظى لا يصلاها الا الاشقى وان لم يتضح لرأيك الا الاصرار وأبت حصائد لسانك الا أن توقعك فى النار فلا رعى الله عزائمك القاصره

ولاجمع عقارب ليل نفسك التي ان عادت فان نعال السيوف لها حاضره ثم قطع الكلام وتمثل بقول أبي تمام

السيف أصدق انباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب

فلما تحقق تحريف القلم حرجه وفهم مقدار الغيظ الذي أخرجه وسمع هذه المقالة التي يقطر من جوانبها الدم ورأى أنه هو البادي بهذه المناقشة والبادي أظلم رجع الى خداعه ونحى عن طريق قراعه وعلم أن الدهر دهره والقدر على حكم الوقت قدره وانه أحق بقول القائل

لحنها معرب وأعجب من ذا * ان اعراب غيرها ملحون

فالتفت اليه وقال أيها المتلهب في قدحه والخارج عما نسب اليه من صفحه ما هذه الزيادة في السباب والتطفيف في كيل الجواب وأين علم الشيوخ عند جهل الشباب أما كان الاحسن بك أن تترك هذا الرفث وتلم أخاك على الشعث وتحلم كما زعمت انك السيد وتزكو على الغيظ كما يزكو على النار الجيد أما تعلم أني معينك في تشييد الممالك ورفيقك فيما تسلكه لنفعها من المسالك أما أنا وأنت للملك كاليدين وفي تشييده كالركنين الاشدين وما أراك عبتني في الاكثر الا بحمول جسدي الذي ليس خلقه علي وضعفه الذي ليس أمره الي على أن أشهى الخصور أنحفها وأقوى الجفون أضعفها وأزكى النسيمات أعلها وأدنفها وهذه سادات العرب تعد ذلك من فضلها الاظهر وحسنها الاشهر ولو انك تقول بالفصاحة وتقف في هذه الساحة لاسمعتك في ذلك من أشعارهم وأتحفتك بما يفخرون به من آثارهم وكذلك عيبك سواد خلقتي التي أكسبها الحب حلية صبغت صبغة حب القلوب والحدق فيالله وياللعجر الاسود من هذه الحجة الباتره والكرة الخاسره وعلى هذه النسبة ما عبتني به من فقر الآباء وذل الحكماء على أن اطلاقات معروفي معروفه وسطوات أمري في وجوه الاعداء المكسوفة مكشوفه فاستغفر الله مما فرط في مقالك والتفويض من عوائد احتمالك فلا تشمت بنا الاضداد ولا تسلط بفرقتنا المفسدين في الارض ان الله لا يحب الفساد واغضض الآن من خلائك بعض هذا الغض ولا تشك اني قسيمك ولو قبل لك يا داود انا جعلناك خليفة في الارض وان أبيت الا أن تهدد وتجرد الشغب وتحدد فاذكر محلنا من اليد الشريفة السلطانيه الملكية المؤيديه أيد الله نعمها وجاز بالاحسان شيمها وأيقظ في الآجال والآمال سيفها وقلمها ولا عطل مشاهد المدح من أنسها ولا أخلى فرائض الكرم والباس من قيام خمسها فاقسم بمن بأسه بالليل وماوسق ومن بشر طلعته بالقمر اذا اتسق لو تجاور الاسد والظباء بتلك اليد لوردا بالامن

فى منهل ورتعا فى روض لا يجهل ولو لجأ اليها النهار لما راعه بمشيئة الله الليل بزجر أو الليل لما غلب على خيطه الاسود الخيط الابيض من الفجر وعلى ذلك فما ينبغى لنا بين تلك الاناميل غير سلوك الادب والمعاضدة على محو الازمات والنوب والاستقامة على الحق ولا عوج والحديث من تلك الراحة عن البحر ولا حرج هذه نصيحتى اليك والدين النصيحة والله تعالى يطلعك على معانى الرشد الصريحة ويجعل بينك وبين الغى حجابا مستورا وينسيك ما تقدم من القول وكان ذلك فى الكتاب مسطورا فعند ذلك نكس السيف طرفه وقبل خديعة القلم قائلا لا مرما جدع قصير أنفه وأمسك عن المشاغبة خيفة الزلل فان السيوف معروفة بالخلل ثم قال أيها الضعيف الجبار البازغ فى ليل المداد نجما وكم فى النجوم غرار لقد تظلمت من أمر أنت البادئ بظلمه وتسورت الى فتح باب أنت السابق الى فتح ختمه فقد فهمت الآن ما ذكرت من أمر اليد الشريفة ونعم ما ذكرت وأحسن ما أشرت وما أنساني به الا الشيطان أن أذكره وقد تغافلت عن قولك الاحسن ورددتك الى أمك الدواة كى تقر عينها ولا تحزن وسألت الله تعالى أن يزيد محاسن تلك اليد العالية تماما على الذى أحسن فانها اليد التى

لو أثر التقبيل فى يد منعم * لحما براجم كفها التقبيل

والراحة التى

تسعى القلوب لغوثها ولغيثها * فيجيبه التأمين والتأميل

والاناميل التى علمها الله بالسيف والقلم ومكنها من رتبتى العلم والعلم ودارك بكرمها آمال العفاة بعد أن ولا ولم ولولا أن هذا المضمار يضيق عن وصفه السابق الى غاية الخصل ومجده الذى اذا جر ذيله ود الفضل لو تمسك منه بالفضل لأطلت الآن فى ذكر مجدها الاوضح وأفصحت فى مدحها ولا ينكر لمثلها ان أنطقت الصامت فافصح ثم انك بعد ما تقدم من القول المزيد والمجادلة التى عز أمرها على الحديد أقررت أنت أننا للملك كاليدين ولم تقر أيدينا اليمين وفى آفاقه كالقمرين ولم تذكر أيدينا الواضحة الجبين وما يشفى ضناى ويروى صداى الا أن يحكم بيننا من لا يرد حكمه ولا يتهم فهمه فيظهر أينا المفضول من الفاضل والمخذول من الخاذل ويقصر عن القول المناظر ويستريح المناضل وقد رأيت أن يحكم بيننا المقام الاعظم الذى أشرت الى يده الشريفة وتوسلت بمحاسنها اللطيفة فانه مالك زمامنا ومنشأ غمامنا ومصرف كلامنا وحامل أعبائنا الذى ما هوى للهوى وصاحب أمرنا ونهينا وتالله ما ضل صاحبكم وما غوى لينصل الامر بحكمه ويقدمنا الى مجلسه الشريف فيحكم بيننا بعلمه فقدم خيرة الله على ذلك الاشتراط وقل بعد تقبيلنا الارض له فى ذلك البساط خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى

سواء الصراط فنشط القلم فرحا ومشى فى أرض الطرس مرحا وطرب لهذا الجواب وخر راكعا وأناب وقال سمعا وطاعه وشكرا لله على هـذه الساعه (يا برد ذاك الذى قالت على كبدى) الآن ظهر ما تبغيان وقضى الامر الذى فيه تستفتيان وحكم بيننا الرأى المنير ونبأنا بحقيقة الامر ولا ينبئك مثل خبير ثم تفاصلا على ذلك وتراضيا على ما يحكم به المالك وكانوا أحق بها وأهلها وانتبه الملوك من سنة فكره وطالع بما اختلج سواد هذه الليلة فى سره والله تعالى يديم أيام مولانا السلطان التى هى نظام المفاخر ومقام المآثر وغوث الشاكى وغياث الشاكر ويمتع بظلال مقامه الذى لا تكسر الايام مقدار ما هو جابر ولا تجبر ما هو كاسر ان شاء الله تعالى * تمت رسالة الشيخ جمال الدين التى كشف بها عن قناع المغايرة وأتى فيها بكل مثال ليس له مثيل ووسمها بصاحب حماة فاطاعه عاصى الادب ووهب الله له على الكبر اسماعيل (وهـذا آخر الرسالة والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا)